مُناقشات

شعر الحلي واشباح اللامعنى

بقلم : مزيد الظاهر

لست انوي في هذه الكلمة المبتسرة اعطاء رأي شامل في شعر الاستاذ علي الحلي ، انما هي اراء قليلة كانت خبيئة في نفسي ولولا قصيدة (يا طائر الزيتون) (١) التي جرحت مسارب صمتها لظلت ترقد هنا فترة اخرى .

لقد احسست وانا اقرأ قصيدة الحلي ، ان آرائي الخبيئة عليها ان تفجر ذاتها لتريحني من هذه اللزوجة السامية التي احسها تمضغ انفاسي المتعبة لتعود مرة اخرى فتبعث ما تجتره « هدية للدود والنمل » .

ان الاستاذ علي الحلي قد اكد لنا في اكثر من مقابلة ادبية انه من المعجبين بالشاعر محمود حسن اسماعيل وهو يعتبره اعظم المعاصرين شاعرية لابتعاده ـ كما يزعم ـ عن فوضى التقليد والاجترار والجمود الفني .

من هذا الاعجاب نستطيع ان نضع يدنا على المنبع البئر الذي يؤثره الشاعر الحلي على غيره من المنابع ، انه منبع الرومانتيكيين عبدة الاقمار والشموس واوراق الخريف ، عبدة الريح والمطر والوشي والاخرقة ، عبدة الكلمة المترفة والتصورات الغريبة ، عبدة الهة التجريد ، اولئك الذين ينقلون التجربة معزولة عن المادة .

انك تقرأ شعر الحلي لاسيما الذي لا يردد فيه الشعارات العربية فلا تشعر انك تقرأ شعرا تمخض عن تجربة عميقة ، انما هي احساسات هلامية تشكو التعثر والانفراط ، ولعل اصدق صورة تلوح بها لتأييد ما نزعم هي قصيدته « بحيرة الاحلام » المنشورة في العدد الثامن من الاداب ١٩٦١ .

ولا اود هنا ان ادخل في عرض وتحليل لهذه القصيدة ، فمشكلتها التجريدية وصورها التي بلا معنى منتهية بالنسبة لي ، ولمعظم قارئيها من معارفي ، بيد انني اذا ما وجدت رأيا ما حول معطيات القصيدة يخالف رأيي فانني ساعود اليها وستكون عودتي في تلك اللحظة حميدة بلا شك !

اما قصيدة (يا طائر الزيتون) وهي محور حديثنا في هذه الخاطرة فهي غريبة عجيبة في معطياتها الفنية ، فهي منفرطة اولا ، وبلا تجربة ثانيا ، ومتفلصة الافق ضحلة المعاني مبهمتها ثالثا .

عيوب ثلاثة اذا توفر احد اركانها في عمل فني نزل البلاء عليه ، فاطعامه للنار او طيه افضل من اخراجه للملأ القارىء .

انها منفرطة لان شخصية التساوق المعنوي مهزوزة قلقة والنمو لا اثر له في القصيدة ، انها بلا رحم ، فالبيتان اللذان بدأ الشاعر بهما القصيدة غريبان على جوها المفعم برائحة الدم ، وهذا بلا شك نقص اسجله على حساب رؤية الشاعر الفنية ؟ ولعل هذا التقهقر الفني راجع لالتصاق الشاعر بجدران شيوخ الرومانتيكية اولئك الذين لا ترى في كؤوسهم الا خمرة الهذيان والثرثرة بلا طائل :

في كل فجر تستفيق الرؤى وتستحم الشمس في الظل
ويبعث الزنبق أطيابه هدية للدود والنحل

ومن امثلة انفراط التساوق المعنوي ، انك تستطيع ان تتلاعب بابيات القصيدة حسبما تشاء وبلا كلفة او اعياء دون ان يعتريَ جو القصيدة اي هاجس ؟ هذا بالاضافة الى ان « واو العطف » في هذا البيت دخيلة عليه اذ ليس ثمة أي رابط بينهما يستدعي العطف مما يدل على ان الشاعر عندما ينظم قصيدته يبدأ بتسطير ابيات كثيرة على غير وعي عميق منه ثم في النهاية يحاول ترتيبها ويحذف ما يشذ عن الجو شذوذا بعيدالمرمى:

وشهقة الإعصار في اضلعي ومرقص الاشباح من حولي

(١) الآداب العدد العاشر ١٩٦١ .

فالبيت على هذا الاساس جريح الوزن ، فالواو المسكينة جاءت هنا رغما عن أنفها .. لقد كانت تستغيث به على ان يفلتها منْ « أنامل الدخان » بيد انه حاول ان يتغافل عن رجع صوتها فقد كان « رملا وريح » أي انه صوت محبب للرومانتيكيين عبدة التجريد وهيولي اللفظة.

اما انها بلا تجربة ، فيتبين ذلك من جوها ، القصيدة ـ كما يذكر الشاعر انها رسالة من شاعر جزائري سجين الى اطفاله في وهران .

ليتصور قارئي القصيدة ان شاعرا واعيا لثوريته عميقا في نضاله، صادقا في حرفه يكتب رسالة الى اطفاله وهو من خلف جدران صمته يغوص في مقبرة الليل كما يقول الشاعر ، يتغنى في أولها بالطبيعة فيذكر الفجر ويرسم صورة ترفه للشمس وهي تستحم في الطل ، وكيف ان الزنبق الكريم يبعث باطيابه الماتعة هدايا بابا نويل للدود والنحل .

ياسلام على هذه المشاعر الثورية الحية التي فاض بها وجدان ذلك الشاعر المسكين الذي يتضور في سجنه من مرقص الاشباح وأنامل الدخان !...

ان هذه الوقعة التي شاء الاستاذ الحلي للشاعر الجزائري ان يقفها تذكرني ببيت للمتنبي من قصيدة يرى بها اخت سيف الدولة ، مع فارق الجو النفسي ، اذ قيل ان المتنبي كان يحب التي يرثيها :

يعلمني حين تحيا حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب

لقد انتقد المتنبي من قبل ادباء عصره على اقحامه هذا البيت في جو قصيدته المأساوي الذي يقطر لوعة واحتراقا .. فماذا عسى ان نقول فيما كتبه شاعر جزائري عاش المأساة ؟ لو ان هذا الشاعر كتب الرسالة الى احد معارفه من الادباء لهان الامر ، اما ان الرسالة كان قد بعثها لاطفاله فشيء يبعث على الرثاء حقا .

انني اسأل الاستاذ الحلي لو ان له اخا صادف ان سجن بتهمة سياسية من اجل وجوده العربي وكتب له من السجن رسالة يصف بها الطريق الممرع والجبال المتوجة بالثلوج والخراف الثاغية ، ثم عرج على مأساته ، اما اسرع في توبيخه وتشديد النكير عليه لانهزاميته المرحة المكسال؟.

ثم انها بلا تجربة لافتعالها هذا الجو المبشر الفامض الذي يعجز الاطفال ذوو الطيبة والبراءة عن ادراكه ولو تأتى سبيل الفهم عن مساعدة خارجية.

اما كونها متقلصة الافق ضحلة المعاني، مبهمتها فواضح هو الاخر.. نتساءل اولا ما هي المعطيات الفنية للقصيدة ؟ اننا لو تحرينا ابياتها لم نعثر الا على توابيت للصمت تصفر فيها بتقزز « خرائب الظل ومرقص الاشباح وانامل الدخان والوحشة والملل » ولا شيء غير هذا ، ان فنيي النقد الحديث كما يذكر الاستاذ الحاوي يجمعون على « ان الشعر ليس وصفا للعالم ، بل هو كشف عنه وخلق له من جديد .. ولهذا فقد نتج ان اشتدت مظاهر التجسيد في الشعر .. وسعى للقبض على المعاناة النفسية فيما هي تعاني بحالة من الرؤيا والرمز وقبل ان تنحل وتتفسخ وتظهر فيها معالم التجريد والتقرير أي الاستعارة والشبيه » .

ان تقلص افق « يا طائر الزيتون » جاء عن طريق تقمصها روحية التجريد المفككة اللاواعية لذا فلا عجب اذا لم نعثر على تجربة نفسية حية تثيرنا ونتفعل معها .. ان قصيدة سليمان العيسى المبدعة « من ملحمة الجزائر » وبضعة ابيات من قصيدة « جميلة » للشاعر السياب تغنينا بصورة تدعو الى الارتياح عن قراءة « ياطائر الزيتون » والاف الركامات من امثالها .

اما انها ضحلة في معانيها فشيء يسير المطلب ، انني اتوجه للاستاذ الحلي ان يدلني على الزخم العميق الذي يشد اعصاب كل بيت من الابيات التالية :

وها هنا عرائسي تلتقي على جدار الصمت في الليل

اشواقنا للريح معصورة تبحث عن خرائب الظل
نحن سكبنا الروح في اكؤس محمومة من منجم يغلي

ابيات بلا معنى ، بلا رابط ، ان اناقة اللفظة غير كاف يا سيدي، هناك الصورة المعمقة ، هناك التجربة الحية ، هناك الرؤيا الحضارية المتكاملة ، هناك كل شيء .

اننا في المقاهي او في الاجواء المخمورة عندما نلغو ونتهرطق ، ناتي باشياء جميلة بيد انها بلا رابط ولو انها سجلت واتعب بعضنا في رصفها لجاءت قصيدة لاتهبط ابعادها الفنية عن مستوى ابعاد ((يا طائر الزيتون)) وبما انني احبذ ان يكون كلامي اقرب الى الصدق فانني اسوق الى سمع الاستاذ الحلي هذه الابيات اللاواعية التي جاءت في دقائق وان اراد المزيد فلا بأس :

وعبر رعب الموت كان الاسى يلعق نزف الدم من حولي
وها هنا للريح ترتيلة ضج صداها في دجى المحل
ماتت رؤى الخصب فيا ويحها رشت خيوط السهد في ليلي
وشهقتي تلفى في رجعها سوط محب الدود والنحل(٢)

ان قصيدة ياطائر الزيتون تذكرني بقصيدة رائعة للاستاذ محي الدين فارس نشرت في الاداب مطلعها :

ابصرتها تغزل اوهامها فوق طريق غامر الظل

انقصيدة يا طائر الزيتون تذكرني بقصيدة رائعة للاستاذ محيي الدين واللفظة الجذابة الا انه لاينجرف في اكثر الاحيان مع تيارها .. وذلك راجع ـ حسب ما اعتقد ـ الى عطفه على الماركسية في فترة ما من حياته الشعرية .

وبعد ، ربما احس انني اطلت في هذه الخاطرة المتعبة ، انني لا اعتبرها سوى مقدمة صغيرة لدراسة اشمل ربما اتفرغ لكتابتها قريبا.

تحياتي للحلي ومعذرة .

بغداد — مزبد الظاهر

(٢) اقصد سوط عضو جمعية الرفق بالحيوان ، انه يحنو على الدود والنحل وبقية الهوام ولا يخشع امام انسانية الانسان وكرامته .

عدد ((الاداب)) الممتاز

تقدم ((الاداب)) في مطلع العام القادم ، ١٩٦٢ ، على مألوف عادتها كل سنة ، عددا ممتازا في موضوع :

الاتجاهات الفلسفية في الأدب المعاصر

وسيكون حافلا بالدراسات العميقة التي تتناول بحث مختلف النزعات الفلسفية كما تظهر في الآثار المعاصرة للاداب العالمية .

حول قصة ((الاب))

بقلم عادل آدم

يقول الاستاذ مجاهد ((ولعل ظاهرة عدم تبين جوهر القضية التي يدور حولها الفنان واختيار الشكل المناسب تتجسد في هذه القصة ايضا ..)) الى ان يقول ((فاننا نتساءل ولماذا بدا قصته عن طريق الانا باعتبار هذه الانا طبيبا ؟))

واحب في البداية ان ابدي رايي من مشكله الانا بدون اعتبار لشخصية صاحبها .. واي الشكلين افضل : ان يروى القصة الكاتب او يرويها بطلها ...

وساذكر المثال القديم .. نفترض جزءا من قصة يقول الكاتب ((وشعر محمد بالم هائل في صدره ولكنه كتم الامه في صدره ولم يبد على وجهه اي شيء .. فاذا كان محمد هذا لم يتكلم ولم يبد على وجهه اي شيء فكيف عرف الكاتب بذلك .. لذلك فالافضل ان يقول لنا محمد وشعرت بالم هائل في صدري ..))

وباعتبار الاب هو بطل القصة فقد كان مفروضا ان يتكلم هو بنفسه ... بمعنى انه يروي هو القصة ولكن اي سخافة !.. ان يقف الاب مفاخرا بنفسه معتزا بتضحياته صائحا ان كليته تتآكل وانه يموت في سبيل ان يضمن مستقبلا افضل لاولاده .. وهو شيء غير معقول بالطبع .

لذلك كان من الافضل ان يكون الراوي شخصا اخر غير الاب ولهذا الشخص بلا شك وظيفته الفنية في القصة.. فهذا الطبيب اي طبيب.. ولكنه كان رجلا ممتلئا بالحماس للعمل في الريف، يقدر الآلام والمآسي التي يعانيها الفلاحون بسبب المرض..ثم اذا به يفاجا بالاعراض النام من الفلاحين عن العلاج بالمستشفى .. وليس هذا حشوا ادبيا كما اتهمنا الاستاذ مجاهد .. ولكن عنينا انه لو لم تسعد الصدفة هذا الطبيب المتحمس المتلهف على رعاية المرض لمقابلة هذا الاب ما اكتشف احد صنيع هذا الاب وما عرف احد بمرضه وتضحياته .. ولو كان مثلا طبيبا اخر ، لكان صدق حكاية المقص التي اخترعها العربجي وكان حمد له هذا التخلص الذي اعفاه من توقيع الكشف عليه .. ولكن هذا الطبيب ، لانه مخلص متحمس ، ولانه سئم حياته الفارغة ، اصر على انه يوقع الكشف على الرجل ويهتم بالفحص بعناية جديرة بالمريض الاول الذي يعالجه في هذه البلدة .

ويتساءل الاستاذ مجاهد : ماذا يحدث لو اني حذفت هذا الجزء المدوى على لسان الطبيب ؟.. والجواب في رايي انك لم تكن لتعرف هذه القصة عن الاب فسيموت حتما بدون ان يسمع به احد او يعرفه احد .

ويقول الاستاذ مجاهد ان بطلي القصة الطبيب وسائق العربة بلا ملامح خاصة .. انهما يظلان طبيبا وسائق عربة .

اما بالنسبة للطبيب فان شخصيته كجزء وملامحه الخاصة لا تهمنا الا بالقدر الذي يساعد على تطوير القصة دراميا .. وقد عرفنا فقط تلك الصفات التي تخدم القصة .. انسانيته ، تحمسه ، مله ..

واما سائق العربة فاعترف باني حزنت جدا لان يتهمنا الاستاذ مجاهد باني تركته بلا ملامح خاصة ... خصوصا وان هذا هو ما عنيته تماما رغم انف ((لحظة التنوير عن البطل)) فبطلنا هنا .. ليس العربجي سائق العربة .. ليس احمد او محمد ولكنه الاب .. الاب العام ..

بقيت نقطة اخيرة : فقد اقترح الاستاذ مجاهد على سبيل المثال ان يدور منولوج داخلي في نفس الحصان لاضاءه اللقطة الدرامية البارعة التي ضاعت في غمار الحشو الادبي ..

وفي اعتقادي ان اللقطة واضحة ومحددة ولا تحتاج لاية اضاءة او تعمق فقد كان ذلك كفيلا بافسادها تماما .

واخيرا ارجو ان يقبل الاستاذ مجاهد خالص شكري وتقديري.

القاهرة — عادل آدم